

# سَيِّدِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير

تحرير  
بلال محمد شالش



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# سِيَرِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة  
وثلاثة وثلاثين عاماً من الاعتقال

تحرير

بلال محمد شلش



مركز الزيتونة  
للدراستات والاستشارات  
بيروت - لبنان

**Sidi 'Umar**

**The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance  
and His 33 Years in the Israeli Jails**

**Edited by:**

Bilal Mohammad Shalash

**جميع الحقوق محفوظة ©**

**الطبعة الأولى**

**2017م – 1438هـ**

**بيروت – لبنان**

**ISBN 978-9953-500-62-1**

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

**مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات**

**تلفون: + 961 1 80 36 44**

**تلفاكس: + 961 1 80 36 43**

**ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان**

**بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net**

**الموقع: www.alzaytouna.net**

**إخراج**

**مرّوة غلاييني**

**طباعة**

**CA s.a.r.l. Beirut, Lebanon**

## فهرس المحتويات

3.....	فهرس المحتويات
7.....	الإهداء
9.....	التقديم
11.....	التمهيد
19.....	المقدمة
25.....	الفصل الأول: بداية الحكاية
51.....	الفصل الثاني: لكل مقدمة نتائجها: الاحتلال، الكفاح المسلح
69.....	الفصل الثالث: خيم ظلام السجن
83.....	الفصل الرابع: المفاصلة: الجماعة الإسلامية في السجن
123.....	الفصل الخامس: قطوف من ذاكرة السجن الأول
143.....	الفصل السادس: وجاء الفرج
157.....	الفصل السابع: اعتقالان بينهما اعتقال إداري
197.....	الفصل الثامن: بدايتي مع القسام واعتقال جديد
261.....	الفصل التاسع: مع القسام من السجن نواصل
283.....	الفصل العاشر: خيم ظلام السجن من جديد
323.....	الفصل الحادي عشر: يد تبني ويد تقاوم
	الفصل الثاني عشر: الاعتقال التاسع والإضراب الفريد،
409.....	ذكريات وخواطر

459.....	الخاتمة
465.....	ملحق الصور
493.....	ملحق الوثائق
560.....	ملحق حول عملية نقل الأسرى "البوسطة"
567.....	أبرز التواريخ في سيرة محمد أبو طير
571.....	فهرست

## من القلب

إنّ للشهادة موقعاً ومكانةً، لا يجيب عنها كل ما في الأرض من مصطلحات، بل إنّ لها كبرياءً واستعلاءً، لا يرقى إليها إلا من اتخذه الله شهيداً. فالشهادة لها رجالها، كما أنّ للمعارك رجالها، وللحروب وقودها... إذلا ما حيهبت الخيل... وتميز فرسانها.

إنها خلاص النفس، وانقضاء الأجل بنشوة الروح، وقد اصطفاها الله بزينة الدماء، تأتي يوم القيامة بريح الحسك، وجراحات الجسد... تحت ظلال السيوف إلى الفردوس الأعلى، حيث الأحبة محمد وصحبه. وإنّ الأمة التي لا تنسجم لإراداتها مع عقيدتها، أمة غنائية، تعيش بلا هيبته، وتعيش حالة الانفصام ما بين ماضيها وحاضرها، وتتخبط في الطريق إلى مستقبلها، بل وأنّى لها أن تنطلق من جريد، ما لم تنسجم مع سنن الله في التدرّج والتغيير!

أبو مصعب  
محمد أبو طير



## الإهداء

إلى روح أمي وأبي رحمهما الله... أمي التي وقَّعت على هذا الدرب ببصماتها، والتي آمنت بالمقاومة والجهاد في سبيل الله طريقاً إلى رضوانه، بل وشاركت فيه منذ الأيام الأولى ما استطاعت. وأبي الذي دفع بي إلى هذا السبيل دفْعاً، وقد غَدَّاني بلبانه مُدْ كُنا صغاراً، وهو يحدثنا عن تجربة الإخوان المسلمين في مقارعة الصهاينة على ثرى القدس وقرائها، وعلى الخصوص في قريتنا "أم طوبا"، وجاراتها صور باهر، وشرفات، وجبل أبو غنيم، المطل على المغتصبات الصهيونية.

وإلى أرواح الشهداء جميعاً في كل ديار الإسلام: إلى روح سيد قطب، ومروان حديد<sup>1</sup>، وسعد صايل، وأحمد ياسين، وحسن القيق، وإبراهيم المقادمة، وعبد العزيز الرنتيسي، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، وجمال منصور، وعادل عوض الله، ويحيى عيَّاش، ومحبي الدين الشريف، وعمر سعادة، وصالح تلاحمة، وعبد المنعم أبو حميد، وإسلام أبو ارميلة، وزهير فرّاح، ونصر جرار.

وإلى إخواني الأسرى الذين تحرروا من قبضة السجان، والذين لم يتحرروا، وقد دفعوا ضريبة الجهاد من أعمارهم وأعصابهم.

وإلى أعظم ثورة في زماننا... وأعظم ثورة في حياة أمتنا... ثورة الشعب السوريّ البطل، الذي عمَّر الله قلبه بالإيمان، على حساب هذا الخراب والدَّمار الذي خلَّفَه النظام.

وإلى أمةٍ تريد صياغة التاريخ من جديد، في مصر وتونس وليبيا واليمن، وتريد أن تعود إلى سيرتها الأولى، إن شاء الله تعالى، رغم مكر الليل والنهار، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأخيراً وليس آخراً، أهدي هذا الكتاب إلى الأستاذين الكريمين (أبي محمد) محمود مصلح و(أبي محمد) عماد الترتير، الذين تولَّيا مراجعة هذا النص لغوياً، وإلى الأستاذ

<sup>1</sup> انظر تعريف سيد قطب ومروان حديد في هوامش ص 31.



بلال محمد محرر النص مع الشكر لهم، وللأخ رامي الأقرع، وللأخت الفاضلة أم عمرو  
مديرة مكتب نواب كتلة التغيير والإصلاح.

القدس - أم طوبا  
6 جمادى الأولى 1434  
الموافق 2013/3/18م

## التقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

لا شك أن التاريخ هو ذاكرة الجنس البشري، وربما تصح مقولة بعض الفلاسفة أن تاريخ العالم هو مجموع تاريخ عظمائه.

نحن اليوم أمام سطور كتاب من هذا الطراز، يتحدث عن مذكرات قامة كبيرة من قامات فلسطين، نبت في أطراف القدس وتعشّق حبها، وهوى إلى مآذنها وحرارتها العتيقة فؤاده، فكانت بوصلته على الدوام، وكان محراب الأقصى مستراحه بعد كل جولة وصوله.

الشيخ محمد محمود أبو طير غني عن التعريف، فقد أضحى ملء السمع والبصر، علماً مجاهداً، وداعية معلماً، وسياسياً موجهاً.

ومثل هذا النموذج من القادة لا يخطّ مذكراته ليلقي مزيداً من التعريف عن نفسه، فهو غني عن ذلك بكل تأكيد، بيد أنها شهادته التي يخلدها التاريخ عن مجموعة من الأحداث والأشخاص الذين عاصروهم، وخاض تجارب الحياة معهم أو ضدهم. وها هو اليوم بعد هذه الرحلة الطويلة على مدى عشرات السنين من العمل الدؤوب والعطاء المتواصل، الذي عزّ نظيره بين أترابه، يقف مع نفسه من جديد ليراجع حكاية العمر بأثر رجعي، ويخط بأنامله — التي قبضت على الزناد كثيراً، وعلى قضبان السجن ما يزيد على 33 عاماً، وعلى قلم الدعوة والسياسة ما يوازي ذلك — شهادته وحكايته؛ شهادة وحكاية شيخ بيت المقدس، الذي لم تتعبه الحروب، ولم تفتّ في عضده المصائب والكروب، فما فتى مُسرجاً للقدس خيله، وموقداً لها قناديل عمره، وواهباً لها أنفاسه. كذا عاش لها فتى يافعاً وشاباً جلدأً وشيخاً صلباً، لم يزده مضاء السنين وتداول الليل والنهار إلا مضاءً وعزيمة، وقوة وشكيمة.

سطور الشيخ محمد أبو طير (شيخ بيت المقدس) حفظه الله، شهادة حيّة تكتسب أهمية خاصة لرجل عاصر مراحل متعددة من تاريخ القضية الفلسطينية، ومن تاريخ الثورة الفلسطينية، ومن تاريخ الحركة الإسلامية، وكان جزءاً من صناعة الأحداث،

والتأثير في مسارها. ومما يزيد أهمية هذه السطور أيضاً أن صاحبها كان صاحب تجارب متعددة في العمل الوطني والإسلامي، في البناء العسكري والأمني، وفي المجال التنظيمي والإداري، وفي العمل الدعوي والتربوي، وكذلك في العمل السياسي والعام.

أعرف أن سيكون لكل قارئ لهذه السطور تقييمه الخاص. وربما تلقى عند البعض قبولاً وترحاباً، وعند آخرين نقداً واستهجاناً. ومع أنني قد أتفق مع صاحبها في الكثير أو أختلف في القليل، لكنني أقدم له مذكراته، لما له عندي وعند كثير من إخواننا في فلسطين، التقدير والاحترام، ولتجربته الطويلة وباعه الرحيب، ولأنه قدوة وصاحب سبق في مجالات كثيرة؛ وكذلك تقديراً لذكرى عمل مشترك في بعض جوانب هذه التجربة، وذكرى معاناة مشتركة خلف قضبان الأسر، وإبرازاً لشهادة حيّة على مراحل متعددة من أهم مراحل العمل الوطني والإسلامي في تاريخ شعبنا.

ختاماً، فإن هذه السطور التي كتبتها ليست نهاية المطاف بالنسبة للشيخ المجاهد أبي مصعب، فهو ما زال كما كان في العطاء والعمل والتضحية، لكنها غيض من فيض في حياة هذا الرجل الكبير.

بقلم الشيخ صالح العاروري

عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

## التمهيد

قالت: "أخاف عليك السجنَ" قلتُ لها:  
 "من أجل شعبي ظلامُ السجنِ يُلتَحَفُ  
 لو يُقَصرون الذي في السجن من غرفٍ  
 على اللصوص لهدَّتْ نفسَهَا العُرفِ  
 لكنْ لها أملٌ أن يُستضافَ بها  
 حُرٌّ فيعبقُ في أنحاءها الشرفِ" ...  
 قالت: "بسَاتينَا أزهارها نُسفتُ  
 متى تعود الأزهيرُ التي نسفوا!؟"  
 قلتُ: "انظري! في سَمَانَا لم تزل سحِبُ  
 غداً ترخِ إلى أن يُزهَرَ الأسفُ!" ...  
 قالت: "حلمتُ بطفلٍ لا أريد له  
 أباً سجيناً!" فقلتُ: "الحلمُ يعتكفُ  
 أتحمين بطفلٍ قلبٌ والدهِ  
 عبداً؟ أعيذك من عبده خلف!"<sup>1</sup> .

تبرز المذكرات والسير الذاتية كمصدر مركزي في التأريخ لفلسطين المعاصرة عموماً، وللحركة الإسلامية خصوصاً، لما تسده من ثغرات بفعل غياب المصادر الأولية الأخرى، وتفتحه من أفاق لفهم أدق<sup>2</sup>، وفي هذا النص الذي سجله الشيخ محمد أبو طير لذكرياته عن مسيرته الطويلة في المقاومة مقاتلاً، ومطارداً، ومعتقلاً، تأكيداً للافتراض

<sup>1</sup> شعر الشاعر الفلسطيني راشد حسين.

<sup>2</sup> سبق للمحرر مناقشة ذلك في تمهيده لنص ذكريات الدكتور عدنان مسودي الذي نشر عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. انظر: بلال محمد (محرر)، إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 15-23.

السابق، وفتح لأبواب ونوافذ جديدة لدارسي ومؤرخي القضية الفلسطينية، وحركتها الإسلامية، يُفتح الكثير منها لأول مرة.

ولد الشيخ محمد محمود أبو طير في 16 نيسان/ أبريل 1951، لأسرة متواضعة من قرية أم طوبا جنوب القدس، أنهى تعليمه الثانوي في العام الدراسي 1970/1971 من مدرسة الأقصى الشرعية. التحق بالعمل إماماً، ومدرساً، وخطيباً للجمعة لمسجد قرية الجيب أواخر 1972، بعد أن قطع رحلته للأردن من أجل استكمال تعليمه الجامعي. سافر الشيخ في صيف 1972 إلى بيروت متعللاً باستكمال تعليمه، ليلتحق بحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ويبدأ باسمه الحركي (طارق بن زياد) الإعداد لعمل ثوري في منطقة القدس. تواصلت رحلات الشيخ إلى بيروت من دون أن تأتي أكلها، وبعد رغبة في الاستنكاف عن العمل في صفوف الثورة، التقى بسعد صايل<sup>3</sup> ليبدأ مرحلة جديدة من العمل العسكري في صفوف فتح، انتهت باعتقاله يوم 12 أيلول/ سبتمبر 1974، والحكم عليه بالسجن الفعلي لمدة 13 عاماً.

خلفية الشيخ أبو طير الدينية دفعته لمفارقة حركة فتح، وتشكيل "الجماعة الإسلامية" في سجن الرملة أواخر 1976، ليدخل في صراع مفتوح من أجل تثبيت خياره في وجه فصائل منظمة التحرير، في مسيرة استمرت إلى أن أفرج عنه في "عملية الجليل" يوم 20 أيار/ مايو 1985، التي كان أحد مشرفيها.

ترافق خروج الشيخ من السجن مع تصاعد وتيرة العمل الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل فلسطين المحتلة عام 1948، الأمر الذي توج بانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) مع اندلاع الانتفاضة، فعمل الشيخ مبكراً للإعداد لعمل عسكري "حماسي" بالتنسيق مع قيادة الجبهة الشعبية - القيادة العامة خارج فلسطين، إلى أن اعتقل في 1 شباط/ فبراير، 1989، وحكم بالسجن لمدة 13 شهراً.

<sup>3</sup> سعد صايل سلمان (1932-1982): ولد في قرية كفر قليل قضاء نابلس. التحق سنة 1951 بالجيش الأردني، وتزوج سنة 1952 ورزق بتسعة من الأبناء. التحق بعدة دورات عسكرية، واعتقل سنة 1963 بتهمة محاولة اغتيال الملك الأردني حسين. برأته المحكمة وعاد للجيش إلى أن تركه إثر أحداث أيلول/ سبتمبر 1970. التحق بصفوف فتح وانتقل إلى بيروت ليتولى إدارة غرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية. انتخب سنة 1980 لعضوية اللجنة المركزية لفتح، وقاد الدفاع عن بيروت إثر اجتياح 1982. استشهد في عملية اغتيال غامضة يوم الإثنين 1982/9/27.

خرج الشيخ من السجن ليعود إليه للمرة الثالثة في 30 آب/ أغسطس 1990، معتقلاً إدارياً لمدة ستة أشهر، ثم للمرة الرابعة بعد اعتقاله في كمين نصبته له المخابرات الصهيونية، بعد إتمام صفقة أسلحة لصالح الجناح العسكري لحركة حماس، وحكم بالسجن لست سنوات. في هذا الاعتقال تعرف الشيخ على عدد كبير من كوادر العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وبدأ الشيخ أبو طير، الذي اتخذ من عمر المختار اسماً حركياً (أو سيدي عُمَر كما سماه إخوانه)، ومجموعة من كوادر هذا العمل بتأسيس جهاز عسكري مركزي، احتضن السجن هيئة أركانه. عمل على التخطيط والتنفيذ للعشرات من العمليات، التي قادها من خارج السجن الشهيد عادل عوض الله وأخوه عماد، والشهيد محيي الدين الشريف، وعدد من مهندسي وكوادر القسام، إلا أن استشهاد عادل عوض الله وشقيقه عادل في أيلول/ سبتمبر 1998، أدى لاكتشاف أمر التنظيم، وإعادة اعتقال الشيخ أبو طير —الذي خرج من السجن حديثاً— لدوره القيادي في هذا التنظيم. والحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات.

بعد خروج الشيخ من السجن، وفي 25 كانون الثاني/ يناير 2006، وتحت شعار ”يدٌ تبني ويدٌ تقاوم“، انتخب الشعب الفلسطيني ”قائمة التغيير والإصلاح“، التي حجز الشيخ مقعدها الثاني لقيادة المجلس التشريعي الفلسطيني. منصب الشيخ الجديد لم يمنع قوات الاحتلال من اعتقاله، فأعيد اعتقاله يوم 30 حزيران/ يونيو 2006، ضمن حملة استهدفت وزراء ونواب حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكتلة التغيير والإصلاح، ثم أبعدته سلطات الاحتلال عن بيته في القدس، وعدته متسللاً لـ”أرض إسرائيل“، وطبق هذا يوم 8 كانون الأول/ ديسمبر 2010، ولم تكتفِ قوات الاحتلال بإبعاده عن أهله وبيته، فأعاد اعتقاله في 6/9/2011، وأطلق سراحه يوم 5/9/2012، ليعاد اعتقاله من جديد يوم 2/7/2013، ليقضي 25 شهراً في سجون الاحتلال<sup>4</sup>.

في هذا النص يُدوّن الشيخ أبو طير ذكرياته عن هذه المسيرة الطويلة، جندياً وقائداً وأسيراً، في سيرة يتماهى فيها الخاص مع العام، وتتجاوز التاريخ للشخص

<sup>4</sup> أعيد اعتقال الشيخ أبو طير من جديد يوم 2016/1/28 وما زال موقوفاً بانتظار المحاكمة.

لصالح المجموع<sup>5</sup>، لتقدم إضافات مهمة لدارسي العمل الإسلامي، وتأريخ المقاومة الفلسطينية، من ذلك:

- الإضاءة على التحولات التي شهدتها الثورة الفلسطينية، فالشيخ أبو طير يشكل نموذجاً لهذه التحولات، إذ إنه بدأ عمله المقاوم في صفوف حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، كرد فعل على احتلال عام 1967، ثم كان من مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون، فقيادي في الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وتسجل هذه الذكريات هذا التحول وتقرأ أسبابه.

- التأريخ للجماعة الإسلامية في السجون، ولرجالها، وبيان دورها في تأسيس العمل الإسلامي الوطني في فلسطين<sup>6</sup>، وصراعها مع فصائل منظمة التحرير. فالشيخ أبو طير أحد مؤسسي "الجماعة"، وأبرز رموزها، وستكون ذكرياته عن هذه الجماعة، والتي سجلها في باب من أكثر أبواب النص تفصيلاً، من أبرز ما كتب عن هذا التاريخ<sup>7</sup>.

- تأريخ العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ففي النص تسجيل لمسيرة هذا العمل، من خلال مسيرة الشيخ أبو طير، الذي رافقه من لحظة التأسيس إلى لحظة الذروة، ويورد النص آراء جديدة في قضايا حساسة في هذا التاريخ، كتفاصيل الجهاز العسكري، الذي أسس أواسط التسعينيات [من القرن الماضي] في الضفة، ودور الأسرى في التأسيس لهذا العمل وتطويره، وروايته عن ملاسبات استشهاد المهندس محيي الدين الشريف.

- التأريخ للحركة الفلسطينية الأسيرة بعين جديدة، فالنص يفتح أفقاً جديداً في هذا التاريخ، بتسجيله رؤية أحد أقدم أسرى الحركة الإسلامية، وبيّن نظرتة لتفاصيل الحياة الداخلية لمجتمع الأسرى في فترات زمنية مختلفة، كما يبرز دور أسرى الحركة

<sup>5</sup> يتقلص في هذه السيرة الحديث عن الجانب الشخصي لصالح الجانب العام، خصوصاً وأن الشيخ أبو طير منذ أن اعتقل لأول مرة امتزجت حياته الشخصية بالجانب العام، ولم يبق له من حياة خاصة إلا شهور معدودة قضاها بعيداً عن الاعتقال والمطاردة.

<sup>6</sup> سيتضح من خلال النص احتضان "الجماعة الإسلامية" لمن صار من الكوادر الأساسيين في العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وبعض رموز العمل العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ومن أبرز هؤلاء الشهيد أحمد الجعبري، قائد أركان كتائب القسام، والذي استشهد في 2012/11/14 في قطاع غزة، والشهيد مصباح الصوري أحد رموز حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

<sup>7</sup> لم يكتب عن هذا التاريخ الكثير، وأبرز نص سُجِّل في ذلك نصّ كُتِبَ باسم حركي "محسن ثابت" ونشر في طبعة محدودة العدد، مجهولة الناشر والتاريخ. انظر: محسن ثابت، نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي (فلسطين): [منشورات محسن ثابت]، د.ت.

الإسلامية في الصراع مع السجان، خصوصاً في "الإضرابات"، التي خاض الشيخ أبو طير أبرزها، وساهم في قيادة بعضها<sup>8</sup>.

- الكشف عن أدوارٍ والتأريخ لرجال ونساء، اختفت أدوارهم بسبب ظروف العمل المقاوم وسريته، أو لتداول الزمن وعدم حفظ سيرهم وتدوينها في كتب التاريخ، كوالده، والمهندس حسن القيق.

بدأ المحرر عمله في هذا النص أواسط عام 2011، الذي بدأت نواته بتدوين محاضرات عن تجربة الشيخ قدمها لأسرى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في سجن مجدو سنة 2004. ثم عكف الشيخ على تنقيح النص والإضافة إليه من أجل نشره سنة 2011. لكن اعتقال الشيخ في 6 أيلول/سبتمبر 2011 أدى لوقف العمل في النص، إلى أن خرج الشيخ في 5 أيلول/سبتمبر 2012، فاكتملت النسخة الأولى من النص. وخلال تحريرها اعتقل الشيخ من جديد في 2 تموز/يوليو 2013، وعندما خرج الشيخ من اعتقاله، ألحق في النص مجموعة جديدة، تُسجل ذكرياته وخواتمه في أثناء اعتقاله التاسع. وتتميز هذه المجموعة بأنها صيغت في السجن، وتضم بين ثناياها ذكريات وخواتم يومية، توثق نشاط وهموم مجتمع الأسرى اليومي. كما أنها تؤرخ لتجربة الإضراب العام للمعتقلين الإداريين، والسجلات التي دارت قبيل الإضراب وخلالها. وسيشكل هذا الجزء من النص إضافة نوعية لخصوصية الإضراب، وتمايزه عن إضرابات الحركة الأسيرة السابقة.

اقتصر عمل المحرر في متن النص على إعادة ترتيبه، تحت فصول تراعي التقسيم الزمني والموضوعي قدر الإمكان، ووضع بعض العناوين الفرعية. وارتأى المحرر أن لا يتدخل في لغة النص، وأن لا يسبغ عليه رؤيته الشخصية، لأن النص في النهاية مرآة لصاحبه لغةً وفكراً، وانعكاس لتجربته ومعايشته للحدث<sup>9</sup>. وعمل على تخريج

<sup>8</sup> دون عدد كبير من أسرى الحركة الوطنية تجربتهم الاعتقالية، لكن النصوص التي تؤرخ وجهة نظر أسرى الحركة الوطنية الإسلامية مفقودة. للاطلاع على قائمة ببلوغرافية للعناوين التي ألفها الأسرى الفلسطينيون والعرب انظر: "نبت بأسماء الكتب والدراسات التي كتبها الأسرى الفلسطينيون والعرب وتلك التي كتبت عن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة"، فهد أبو الحاج (مشراف عام)، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب (القدس: مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة؛ جامعة القدس، 2014)، الجزء الأول، ص 123-137.

<sup>9</sup> اعتقد المحرر بضرورة أن لا يؤثر على صاحب النص في لغته وإن كان فيها حدة أو تأجج لعاطفة، للأسباب السالفة، ولتقديره أن هذا النص تسجيل لحوادث عاشها صاحبها ودفع ثمنها من حريته وحياته ودم إخوانه الكثير، فوجب الحفاظ على هذه اللغة لأنها ستكون الأكثر تعبيراً ومصداقية.



الأحاديث، والآيات القرآنية، وتوثيق النصوص المقتبسة من مصادر أخرى، وشرح بعض المصطلحات المتعلقة بحياة المعتقلين في سجون الاحتلال<sup>10</sup>. والترجمة المختصرة للأسرى والشهداء الذين كان لهم ذكريات مع الشيخ، وكان بالإمكان توفير سيرهم<sup>11</sup>.

وتجاوز المحرر تحقيق التصريحات والوقائع التاريخية، التي ينسبها النص لعدد من القادة العرب والصهاينة، وذلك لاعتقاد المحرر بأن تسجيل مثل هذه التصريحات وإن لم يصح بعضها— والتي تُتداول في الحوارات اليومية، وتحفظ في الذاكرة الجمعية، ميزة من مزايا السير والمذكرات، وجب الحفاظ عليها في هذا النص، لكونها تشكل انعكاساً للتاريخ، الذي يؤمن بصحته عموم الناس، وكما قيل ”التاريخ ما أمنت به الناس“.

وفي نهاية النص أثبت عدد من الملاحق أعدها المحرر، أولها ملحق وثائقي، غطى أولاً حياة الشيخ أبو طير في الأسر، وقدم نماذج لمراسلاته مع الأسرى، ثم غطى مشاركة الشيخ في انتخابات المجلس التشريعي لعام 2006، وغطى أخيراً حادثة استشهاد محيي الدين الشريف. وثانيها ملحق عن ”البوسطة“<sup>12</sup>، كتبه الدكتور عبد الرحمن زيدان<sup>13</sup>،

<sup>10</sup> لبيان هذه المصطلحات بالإضافة لشرح الشيخ أبو طير وعدد من الأسرى المحررين، تمّ العودة إلى: فهد أبو الحاج (المشرف العام)، مرجع سابق، ص 43-73.

<sup>11</sup> واجه المحرر صعوبة كبيرة في الترجمة للأسماء الواردة في هذا الملحق، وفي هذا مؤشر على ضعف الاهتمام بذاكرة المقاومة الفلسطينية، وضوء إنذار لضرورة الاهتمام بهذا الجانب بعمل توثيقي؛ وكان مصدر المعلومات الأساسي لهذه السير المختصرة التواصل الشخصي، بالإضافة لبعض المواد المنشورة على: أرشيف موقع المركز الفلسطيني للإعلام، وموقع المكتب الإعلامي لكتائب الشهيد عز الدين القسام، وموقع مركز أحرار لدراسات الأسرى، وموقع ”أحرار ولدنا“. والباعث لهذا الملحق أن لا يكون مرور القارئ على أسمائهم مروراً عادياً. فكما سيتضح فإن خلف كل اسم، مسيرة حافلة بالجهاد والتضحية وبذل الحرية والدم. ومن ذلك أيضاً خروج عدد كبير جداً من الأسرى، الذين وردت أسماءهم في المتن، من سجون الاحتلال الصهيوني بعد إتمام صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18، وفي هذا ومضة أمل.

<sup>12</sup> انظر: ملحق حول عملية نقل الأسرى ”البوسطة“، ص 560-566.

<sup>13</sup> **عبد الرحمن فهمي زيدان (1961-)**: ولد في بلدة دير الغصون قضاء طولكرم لعائلة هجرت من خرب يماً. يحمل شهادة بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة إلينوا/أمريكا، وماجستير في هندسة الطرق والمواصلات من جامعة النجاح الوطنية. اعتقل سنة 1993 لمسؤوليته عن المجموعات العسكرية لحركة حماس المعروفة بكتائب الشهيد عبد الله عزام. شغل عضوية عدد من المؤسسات والجمعيات. عمل مشرفاً على مشاريع ”بكدار“ في الضفة الغربية. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006 عن منطقة طولكرم، وشغل وزارة الأشغال العامة والإسكان في الحكومة الفلسطينية العاشرة سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال الصهيوني.

بناء على طلب من الشيخ أبو طير، وختمت بملحق "تواريخ"، يقدم تاريخاً موجزاً لحوادث النص، ومسيرة صاحبه.

ختاماً لا بدّ من شكر الشيخ أبو طير على قراره بتدوين ذكرياته ونشرها، وعلى صبره ودمائه خلقه، التي تجلت أثناء فترة عمل المحرر، وشكر كل من ساهم في إعداد هذا النص.

والله ولي التوفيق

بلال محمد



## المقدمة

﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>1</sup>

بعد أن مضت بي السنون بما حملت من أثقال، وقاسيت من الضر ما تنوء عن حمله الجبال، وانتهت إلى الشيطان أمواجهها، واستوى على ظهور الخيل فرسانها، فقد لجأت إلى الله سبحانه وتعالى، وبأكف الضراعة، وبلسان عربي ميين، أن يفتح علي فتوح العارفين، وأن يعينني على ما عزمت عليه، فقد تباعدت الأيام كثيراً، وطوت من الأحداث ما هو عزيزٌ عليّ ضياعه، بسبب الحرب المشبوبة، التي يتعرض لها الرواد داخل السجون وخارجها.

مضت بي السنون، وَحَقُّ لِلْأَنْفَاسِ أَنْ تَتَوَقَّعَ عَلَى مَرَاكِلِ الْإِبْتِلَاءِ، وقد استجمعت قواها، ولممت جراحاتها، وأتت عليّ الأيام لباليها بما حملت من محن، وعزمت — إن شاء الله تعالى — أن أطوي هذه التجربة بما ملكت من على صفحات نفسي، التي أدامها القيد، إلى مَنْ يعشق حرية قومه، وخلص أرضه، وتحرير أوطانه بأبنائها، وقد استباحها المحتل، وعربد من فوق ثراها، وانتهك الحرمات، بل والمقدسات، وألقى بالخير من أبناء هذا الشعب، حتى النساء والأطفال، في سجونهم ومعتقلاتهم، التي تفنن في جعلها مقابر للأحياء، بعدما تفنن في قهر الرجال، من خلال أقبية التحقيق والزنازين.

ومن خلال هذه التجربة، لقد زرعنا، وبارك الله في زرعنا، حتى اطمأنت نفوسنا لما زرعناه والحمد لله. وانتصرت الأرض والسماء لما صبرنا على البلاء، واتسع الكهف علينا برحمة من الله. وضائق الأرض على من حاربنا، وضائق عليه نفسه، حتى أصبح يتنفس من سَمِّ الخياط، وعمّا قليل، فالطوفان قادم، ودولة الاحتلال إلى زوال، ولن يبقى على أرضنا غرباء، فلن تعيشوا بقية أعماركم يا معشر الصهاينة. وما كان لكم أن تعيشوا اللحظة من الطمأنينة في حمى قوتكم، وظلال جبروتكم، منذ أن قامت دولتكم، بما كسبت أيديكم، من جرائم. ولأن السارق، مهما تمرّس في الاحتراف، فالخوف لا يفارقه،

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية 196.

لأجل هذا لن تعيشوا بقية أعماركم على أرضنا، وستتقطع بكم السبل، وهيهات من سبيل. وستتقطع نياط قلوبكم حسرة، وأنتم تشاهدون ما شيدتم من مشاريع، وهي تنهار وتترنح، وقد أتاها الله من القواعد. وعندها لن تجدوا في الأرض من يُجيركم، أو تستجرون به، وعند ذلك كل من في الأرض له حصانة، إلا أنتم، وقد انتهى بكم الصلف والغرور إلى هذه النهاية التعيسة.

على كل حال، تجربة الحياة غنية لمن عاش همومها، وجعل من عمره حقاً لدعوته، وأعطاه أكثر مما أخذ منها، وغلب المعاني الممزوجة بالهموم على ما سواها، وجعل من ضريبة الأيام حقاً وجسراً لمن اكتوى بنار العدا؛ لأن لها في النفس طغياناً على قليل من حلاوة الدنيا، والذي قضيناه من العمر في مواجهة البغي وصراع الظلمة، أخذ منا الكثير، حتى إنه ما استبقى لنا ظلالاً نتقيأها ونستروح بها مع أهلنا، إلا ظلال الإيمان التي هي سبيلنا إلى الآخرة، بل إنه أخذ منا لحظات الراحة من على فرشنا والحمد لله، فكانت همومنا هي الوسائد، وما ندمنا، وما ينبغي لنا أن نندم على صنيع أردنا به وجه الله، لا، ولن نندم على بيع وثقناه، ولا على عهد أمضيناه. فأن تنتصر للمظلوم، وترفع عنه حرج الأيام، خير لك من الدنيا وما فيها، وأن تأخذ الناس إلى العفة، والطهارة، فذلك جماع الخير، فما بالك؟ إذا كان همك أن تعيد للرسالة دورها وحضورها؟ وأن يكون همك منصباً على استئناف الحياة في ظلّ شريعة الإسلام، وأن تأخذ بالنفس من قارعة الطريق، إلى رائحة النهار، حتى يألف الناس شمس الحقيقة بلا كسوف.

إنه على أثر من مضي على الحق نمضي، ونتعلم الجود بما عندنا من الخير، ونثري أنفساً لأحباب لنا، انتظروا تجربتنا، كي يوقعوا عليها بما يتناغم مع الحقيقة، التي عاشوها، وشاركوا في صياغة أحداثها. فهم، والله، من عشنا وإياهم أكثر من العيش في بيوتنا، وهم جيل يحتقر التمرد نفسه أمام عنفوانهم، تفور وتهيج بهم الحنايا لدفع الظلم عن الأقصى، وقد ملك من نفوسهم الحشاشة، فوالله إنهم جيل لا تتجمجم هممهم، وتفور نفوسهم لدين عظم أمره في قلوبهم، وقد أرادوا بيانه ليتقيؤوا بظلاله، ولشعب قد أرادوا له الخلاص، وقد لحق به الضيم، وطال عليه البلاء، ولعدو قد أرادوا هلاكه، وقد علا وعربد. وعلى أثر من مضي على الحق نمضي، لعلنا نحظى بدعوة من ولد صالح، أو أخ حبيب، عنده سهام الليل نافذة، أو كريم، أخذت به نفسه إلى مواطن النبل، فهو لا يطيق البخل. وإن خواطرننا هذه أحداث نكتبها مهوراً بألم السنين، وجراحات الأيام،

وممزوجة بأنفاس حبيسة وطيقة. الحبيس منها ما أن له أن ينطلق، حتى يتكشف عن حقائق مخبوءة في صراعنا مع أعدائنا، كما قالت لي أمي رحمها الله، لما كانت الزيارة الأولى بعد الحكم لمدة ستة عشر عاماً كان ذلك عام 1975، قالت، رحمها الله: ”صُم يا ولدي“، ولأكثر من مرة رددتها صُم. والمقصود هو الصيام عن الكلام؛ لأن أمي، وهي رفيقة دربي وموطن سري، كانت تعلم عني ورفاقي ما لم يرد ذكره في التحقيق، وقد غبت عنها وعن البيت ليلة، بعد حادث تعرضت فيه للإصابة في جسدي، وقد أثرت أمي أن تعالجني دون علم الطبيب. وأما الطليق فقد أتى على رجالنا بالسجن والشهادة، والأعصاب والإعاقات حتى قلت من الشعر في ذلك:

مكوث ومهري سبوق الهوى  
لنا في الوغى عزمة لا تُفَلَّ  
وفي شبابنا يقال:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا  
ولكن على أعقابنا تقطر الدماء  
إنها ضريبة أخذت منا بقدر ما جرت الدماء في عروقنا، ولا عجب، فقد التاثت الخطوب من حولنا، وعربدت الأمزجة على حساب الحس الوطني، واختلطت الأوراق بعيداً عن الحكمة، التي هي بوصلة الطريق لكل مشروع وطني، ولأنها تجمع الأحلام على الصواب.

وعلى هذا، فإنه من يحيط نفسه بالحكمة ومن حوله أقطارها بما تقرأ من كتاب الله، وبما تملأ به نفسك مع كل حديث قاله نبيك ﷺ ومع كل بيت من الشعر يخطر ببالك، وتردده موقِعاً به على أمر حصل، ومع كل مزاج من أمزجة البشر، فإن الحياة تبقى سجيئة ما لم ينتصر جهاز الردع في نفوسنا، فالدنيا سجن، والسجن فصل من فصول الحياة، ولا تنقطع همومك إلا بانقطاع أنفاسك. لكن لك في الله عزاء، فبقدر ما تعيش هذه الهموم، بقدر ما تتساقط عنك الأوزار، لأن سبيلك إن انتهى هنا، فقد ابتدأ هناك حيث في انتظارك ”روح وريحان وجنة نعيم“، عند من لا يظلم مثقال ذرة، ولا تضيع عنده الودائع والأعمال.

ومن نِعَم الله، ومن سابغ فضله عليّ فقد هداني إلى دينه، وحملني على دعوته وإخواني إلى السير في ركب هذه الدعوة المباركة، ومَن أنا بلا هذه الدعوة، ولا أريد أن أكون إن لم أركب هذه السفينة المباركة.

ومن أول يوم ابتدأت طريقي مع هذه الدعوة تعلمت من السلف الصالح: ”ذنب في الحق، ولا رأس في الباطل“، والحمد لله ما كنت ذنباً في يوم من الأيام، بل لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

وهذا ما لزم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الفقير إلى الله

محمد بن محمود حسن أبو طير

القدس - أم طوبا

# Sidi 'Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

## هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجناء. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1



9 789953 500621



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | فاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

